المحافظون الجدد في محكمة الرأي العام بأمريكا

كارلين باومان

من الصعب وجود أحد يشكك بمدى نفوذ المحافظين الجدد في واشنطن العاصمة. ولكن هل نجحوا في عرض قضيتهم على الجمهور الأمريكي الأوسع؟ هل ينبغي أن نتوقع منهم ذلك؟ إذا اعتمدنا تعريف إرفنغ كرستول لظاهرة المحافظين الجدد على أنها «قناعة» وليست حركة، فإن من غير المعقول أن نتوقع وجود أتباع للمحافظين الجدد على المستوى القومي. عشرات الأسئلة طُرحت خلال السنوات الثلاثين الماضية حول تحديد الهوية الإيديولوجية للتيار الرئيسي. أعداد متزايدة من الناس تصف نفسها باطراد على أنها محافظة لا ليبرالية، غير أن الأكثرية تشعر بالاطمئنان في الوسط. حين طلبت مؤسسة غالوب من مشاهدي قناتي CNN ويو. إس. إي. توداي USA Today في كانون الثاني 2004 أن يحددوا مواصفات آرائهم السياسية، قام 39 بالمئة من المشاركين في الاستفتاء بوصف أنفسهم بالمحافظة، 16 بالمئة بالليبرالية، و43 بالمئة بالاعتدال. أما فيما يخص المحافظين الجدد فإن سؤالاً ولو واحداً لا يرد عنهم في الاستفتاءات العامة.

في مقالة نشرتها الويكلي ستاندارد في 2003 (وقد أعيد نشرها في هذا المجلد)، وصف كرستول عدداً من المعتقدات التي تميز المحافظين الجدد عن المحافظين التقليديين، غير أن من الممكن توظيفها منطلقاً للمقارنة بين المحافظين الجدد والجمهور العام. يقول كرستول إن مزاج المحافظين الجدد أكثر تفاؤلاً من مزاج المحافظين التقليديين. ويضيف أن المحافظين الجدد يركزون على النمو الاقتصادي مع اهتمام خاص بخفض معدلات الرسوم والضرائب. أما فيما يخص دور الدولة فيحدثنا كرستول عن أن المحافظين الجدد لا ينتابهم الذعر الذي ينتاب

المحافظين التقليديين إزاء «نمو الدولة في القرن الماضي». يتقاسم المحافظون الجدد ونظراؤهم التقليديون قلقاً واضحاً إزاء «التدهور المطرد لثقافتنا الديمقراطية». يقول كرستول ليس ثمة أي سلة عقائد محافظة تخص السياسة الخارجية؛ هناك فقط سلة مواقف منها حب عميق للوطن، ارتياب من الحكم أو الإدارة العالمية، نظرة واضحة وضوح الشمس إلى الأصدقاء والأعداء، التزام بدفاع قوي، واستعداد للتوافق والتناغم مع قوة أمريكا الفريدة في العالم وعكسها. هذه المقالة لا تسلط الضوء على أوجه التباين بين المحافظين، بل على الميادين التي تشكل نقاط تصادم ونقاط التقاء الرأي العام الأمريكي مع قناعة المحافظين الجدد التي وصفها كرستول.

فيما يخص المزاج، من الواضح أن طبيعة المحافظين الجدد التفاؤلية متناغمة مع طبائع أكثرية الأمريكيين. يكاد كل من أسئلة الاستفتاءات في الأدبيات يبين أن الأمريكيين يتوقعون أن يصبحوا في حال أفضل في المستقبل مما هم اليوم، كما هو واضح من استبيان هاريس في نيسان/ إبريل 2004. اكتشف هاريس أن 68 بالمئة ممن شملتهم الدراسة توقعوا لوضعهم الشخصي أن يتحسن في غضون السنوات الخمس القادمة. فقط 6 بالمئة توقعوا أنه سيسوء. أظهرت بيانات هاريس المجمَّعَة في 2003 أن الأمريكيين أكثر تفاؤلاً وأكثر رضا بالحياة من الأوربيين بما لا يقاس. أكثريات كبيرة من الأمريكيين من جميع الألوان والمذاهب مستمرة في الإقرار بأنهم مؤمنون بالحلم الأمريكي. عدد غير قليل يعتقدون بأن تحقيقه سيكون أصعب مما في الماضي، ولكن الفكرة ما زالت مفعمة بالحياة. في أيار 2004، قال 62 بالمئة ممن شملتهم دراسة أجرتها إي. بي. سي. نيوز ABC News والواشنطن بوست إنهم متفائلون حول الوضع في العراق، وذلك بعد أيام الفلوجة الكئيبة وإساءة معاملة السجناء العراقيين من قبل جنود أمريكيين في أبو غريب.

لدى النظر إلى الانتخابات الرئاسية الأخيرة، يستطيع المرء أن يقول إن المرشح ذا الشخصية الأوفر أملاً أو الأكثر تفاؤلاً كان هو الفائز على الدوام. فتفاؤل رونالد ريغان المشرق كان نقيضاً صارخاً لقلق جيمي كارتر وتأملات والتر مونديل

حول الحاجة إلى ضرائب أعلى. بدا جورج إتش. دبليو. بوش أكثر تفاؤلاً من دوكاكيس المتجهم، ولكن الرجل الآتي من هوب (مسقط رأس كلنتون – المعرب) نجح في استحلاب الميزة وإجباره على الرحيل بعد أربعة أعوام. صحيح أن بوب دول بدا متمتعاً بصفات ممتازة، إلا أن كثيرين من الأمريكيين شعروا أنه ينظر إلى الخلف لا إلى الأمام، فما لبث أن تجرع كأس الهزيمة. فيما يخص جورج دبليو. بوش وآل غور، بدا الرجلان، كلاهما، نسمة هواء منعشة بعد طيش الرئيس كلنتون. يوم انتخابات الـ2000، 48 بالمئة من الناخبين قالوا إنهم كانوا سيشعرون بالدهشة أو التفاؤل إذا ما فاز غور، وراود 49 بالمئة الإحساس ذاته في حال فوز بوش.

يلاحظ كرستول أن المحافظين الجدد يركزون على النمو الاقتصادي، وخصوصاً على خفض معدلات الضرائب. وهم في هذا يتبعون طريقاً شقها محافظون جمهوريون تقليديون مثل النائبين وليم شتايغر William Steiger وجاك كمب Jack Kemp وعضو مجلس الشيوخ وليم روث William Roth، الذين قاموا بتغيير توجه حزبهم فيما يخص الضرائب أواخر السبعينيات. نجح التضخم المفرط المفعم بالألم في ذلك الوقت في جعل الأمريكيين ميالين إلى تبني حججهم حين أقدم المرشح رونالد ريغان على صياغتها، وبادر الأمريكيون إلى دعم تخفيضات الرئيس الضريبية طريقة مناسبة لدفع عجلة الاقتصاد إلى الدوران من جديد.

على غرار التقليديين والمحافظين الجدد ظل الشعب الأمريكي، على الدوام، أكثر اهتماماً بزيادة حجم الكعكة الاقتصادية من اقتسام هذه الكعكة. ومع أنهم قد يكونون ميالين إلى رؤية المال والثروة موزَّعَيْن بقدر أكبر من المساواة بين عدد أكبر من الناس، فإنهم يرفضون فكرة أن الحكومة الاتحادية تعرف كيف تفعل هذا. لدى التعرض لسؤال مركز أبحاث الرأي القومي في 2000 عما إذا كان من مسؤوليات الحكومة تقليص الفروق بين ذوي المداخيل العالية وبين أصحاب المداخيل المتدنية، كثرة من الناس اختلفت. أعداد كبيرة من جميع فئات الدخل الذي يفوق 20.000 من الدولارات قالت إن تلك ليست من وظائف الحكومة. ثمة

استطلاعات تبين أنه حتى أولئك الذين يمكن أن يستفيدوا من أي إعادة توزيع للثروة، أولئك الذين هم في أدنى مراتب الدخل، لم يكونوا قط متحمسين للفكرة.

يجادل كرستول أن المحافظين الجدد أقل من المحافظين التقليديين ذعراً من الحكومة الكبيرة. من الصعب أن نعرف بدقة ما يراه الأمريكيون بشأن حجم الحكومة أو الإدارة الاتحادية لأنهم طالما كانوا منقسمين إلى فريقين حول الأمر. إنهم يريدون ويتوقعون أن تقوم الحكومة بأشياء كثيرة لصالحهم، خصوصاً في ميادين مساعدة المسنين والرعاية الصحية. في الوقت نفسه ينظرون إلى الحكومة الكبيرة نظرتهم إلى مشكلة كبيرة. إنها مبددة، متطفلة، وبعيدة عن الكفاءة. تشي استطلاعات الرأي العائدة إلى الفترة الممتدة مما بعد الحرب العالمية الثانية إلى منتصف ستينيات القرن العشرين بأن الأمريكيين كانوا يضعون إشارة المساواة بين نشاط الحكومة الاتحادية والتقدم. وبدءاً بأواسط الستينيات، بتلك الأيام التي أقدم فيها لندون جونسون بإطلاق مشروع المجتمع العظيم، بدأت الشكوك حول الحكومة الكبيرة تطفو على السطح. عبر سؤال تكرر طرحه خمساً وعشرين مرة منذ عام 1965، أفاد الأمريكيون مستفتيهم بأن الحكومة الكبيرة، لا الشركات الكبرى أو الاتحادات العمالية الكبرى، ستكون التهديد الأكبر للبلاد في المستقبل. حتى بعد فضائح الشركات أواخر 2001 و2002، قال 47 بالمئة إن الحكومة الكبيرة تمثل الخطر الأكبر، في حين أفاد 38 بالمئة و10 بالمئة بأن التهديد كامن في الشركات الكبرى، وفي الاتحادات العمالية الكبيرة على التوالي.

رغم هذه الهواجس ثمة ما يشير في استطلاعات هذه الأيام إلى أن الأمريكيين إما مرتاحون إلى، أو ربما راضون، على مضض وحسب ببساطة، عن الحجم الراهن للحكومة الاتحادية. للمرة الأولى منذ عام 1950 أبلغ عدد أكبر من الأمريكيين غالوب في 2003 أن مقدار الضرائب الاتحادية المدفوعة من قبلهم «صحيحة تقريباً»، بدلاً من الرد المألوف: «أعلى مما ينبغي». بات الأمريكيون اليوم يقولون لمستطلعي الرأي إنهم أكثر قلقاً بشأن ضرائب ممتلكاتهم مما هم بشأن مداخيلهم الاتحادية.

من الواضح أن جورج دبليو بوش يفوق أسلافه الجمهوريين اطمئناناً إلى حجم الحكومة الاتحادية. خذوا مثالاً واحداً: أراد رونالد ريغان إلغاء وزارة التعليم، في حين بادر جورج دبليو. بوش إلى توسيعها. أبدى الأمريكيون إعجابهم برصد مبالغ جديدة ذات شأن من جانب الحكومة الاتحادية – مكسب صرف الوصفات الدوائية – وإن لم يكن لديهم أي حل لكيفية تسديد التكاليف. إلا أن الجمهور ما زال يقاوم بعض أشكال التوسيع لنشاط الحكومة الاتحادية. غرق اقتراح الرئيس في كانون الثاني/ يناير 2004 القاضي بإطلاق برنامج جديد لفضاء مأهول كالحجر. ببساطة لم يكن البرنامج الطموح باهظ الثمن ذا معنى في نظرهم فيما البلاد مشغولة بخوض حرب في العراق وأخرى ضد الإرهاب. أما فيما يتعلق بالعُجوز، فقد ظل الأمريكيون يقولون دائماً تقريباً إن الكبيرة منها (من هذه العُجوز) مشكلة وإنها خطيرة، إلا أنها لم يسبق لها قط أن اكتسبت قدراً ذا شأن من الحدة السياسية.

يجادل كرستول أن المحافظين التقليديين ونظراءهم الجدد (ولكن دون دعاة التحرر) مذعورون بالتساوي من نزعات ثقافية متمثلة بالطلاق، بالولادات خارج الرابطة الزوجية، بالجريمة، بالمخدرات، وبالمعايير الاجتماعية المتدهورة. بانتظام تحرص فوكس نيوز وأوبنيون داينامكس على سؤال الأمريكيين عما إذا كانت الولايات المتحدة سائرة، عموماً، في الاتجاه الصحيح، أم هي منحرفة إلى المسار الخطأ. تأتي ردود الأمريكيين متفائلة أو متشائمة تبعاً للأوضاع. إلا أن فرقة الاستطلاع تطرح سؤالاً ثانياً حول المناخ الأخلاقي في الولايات المتحدة، فيقول الأمريكيون دائماً تقريباً إن البلاد منحرفة إلى المسار الخطأ من حيث المناخ الأخلاقي. حين تكون شديد الحرص على الاهتمام بشيء معين، وكما هم أكثر الأمريكيين فيما يخص مراسي أمنهم الأخلاقية – المعنوية، فإنك تبقى ميالاً إلى القلق إزاء احتمال فقدانه. ثمة نوع من عنصر الحنين الماضوي ـ النوستالجي – هنا، إلا أن الأمريكيين يظلون، بأكثريتهم، شديدي الاهتمام بثقافتهم.

أخيراً، يقول كرستول إن المحافظين التقليديين قد واجهوا صعوبات ذات شأن في عملية التكيف مع فكرة صيرورة الولايات المتحدة ذات قوة فريدة، مجسِّدة حقيقة جديدة في الشؤون الخارجية. عموماً لا يكون الأمريكيون متنبهين إلى المناقشات العاصفة التي تدور في أوساط المثقفين حول السياسة الخارجية. يتبنون سلة من المعتقدات الواضحة إلى حد كبير لدى تفكيرهم بمكانة أمريكا في العالم، وقد بقوا ثابتين ثباتاً لافتاً بشأنها. إنهم، أولاً وقبل كل شيء، أمميون، ولو بقدر من الحذر والتردد. في سؤال يُطرح منذ عام 1947، لم يقل أكثر من الثلث إن الأفضل لمستقبل الولايات المتحدة بالنسبة إلينا أن تنأى بنفسها عن الشؤون العالمية، وتبقى النسبة محصورة عادة بالربع. أما الثلثان أو أكثر فقد ظلوا باطراد يقولون إن من الأفضل لنا أن نضطلع بدور فعال. بعد 11/ 9 بات الأمريكيون أكثر يقيناً في الاقتناع بضرورة الانخراط الأممي أو الدولي.

على الدوام ظل الأمريكيون يفضلون التحرك مع حلفاء أو مع منظمات دولية – حين يكون ذلك ممكناً. وهم يعلمون أنه ليس ممكناً دائماً. كثيراً ما يتصفون بالنزق حيال تكاليف التورط الدولي أو الانخراط الأممي، بالملل من تحمل ما يبدو لهم جزءاً غير عادل من التكاليف. يقولون لمستطلعي الرأي إنهم يفضلون تكريس الموارد والاهتمام على مشكلات داخلية. ومع أنهم ليسوا تواقين لإنفاق مبالغ هائلة على الدفاع، فإنهم مؤمنون بأهمية امتلاك دفاع لا يضاهيه أي دفاع آخر. صحيح أنهم يقلقون إزاء عمليات الانخراط الخارجية طويلة الأمد، ولكنهم يدركون أيضاً أن مثل هذه العمليات ضرورية أحياناً. أيدوا سياسة الحكومة الأمريكية في الحرب الباردة على امتداد أربعين سنة. إن هذه المواقف العامة تكمن في عمق ردودهم على أي إدارة جديدة.

درج الأمريكيون على عادة منح قادتهم هامشاً ذا شأن في الشؤون الخارجية حين يثقون بهم. كانت لدى جورج إتش. دبليو. بوش خبرة لا يستهان بها في الشؤون الخارجية، فاطمأن الأمريكيون إليه في هذا المجال من البداية. رؤساء جدد آخرون لم يكونوا طويلي الباع في السياسة الخارجية، وقد تعين عليهم أن يجهدوا لكسب

الثقة. بعضهم كانوا أنجح من آخرين. فالشكوك حول جدارة جيمي كارتر بقيادة دفة السياسة الخارجية تنامت على امتداد فترة رئاسته وساهمت في هزيمته سنة 1980. كثيرون من الأمريكيين كانوا بحاجة إلى بعض الوقت حتى يطمئنوا إلى رونالد ريغان. لم يكن هذا الرئيس سائراً في طريق جر البلاد إلى حرب عالمية ثالثة بعد أن حاول بعض رفاقه الجمهوريين وعدد كبير من الديمقراطيين إثارة الشكوك حوله في هذا المجال. ولم يكن كلنتون، رغم نشاطه اللافت في أرجاء كثيرة من العالم، قادراً على ترسيخ صورة قوية على صعيد السياسة الخارجية. لم يكن الناس واثقين من جورج دبليو. بوش بداية، غير أنهم ما لبثوا، بعد 11/ 9 أن سارعوا إلى الاحتشاد حوله. يريد الأمريكيون من رؤسائهم أن يحددوا الأهداف بوضوح وأن يحققوها بنجاح. ليسوا مولعين بتتبع التطورات اليومية في السياسة الخارجية، وقلما يستغرقون في تخمين القرارات المحتملة. وعلى الرغم من أن بوش قد صاغ توجيهات رئيسية جديدة في السياسة الخارجية، فإن من غير الواضح ما إذا كان عد كبير من الأمريكيين قد فكروا بمبدأ الاستباق أو بفكرة المبادرة السلمية للشرق الأوسط الأكبر.

يبقى الأمريكيون راسخي الإيمان بالمثل العليا التي تحدد هوية أمتهم ويعدّون دولتهم قوة لمصلحة الخير في العالم. إنهم يأملون في أن يستمتع الآخرون بنعم الديمقراطية. ما يزيد على 80 بالمئة يقولون لمستطلعي الآراء إن نظام حكمهم هو الأفضل في العالم، مهما كانت عيوبه. أكثرية 56 بالمئة قالت لغالوب في 2003 إن الولايات المتحدة ملزمة بمساعدة بلدان أخرى على الخلاص من الحكام الدكتاتوريين وعلى التحول إلى أنظمة ديمقراطية، في حين أن نسبة 38 بالمئة اعترضت على مثل هذا الإلزام. يبقون، مع ذلك، متحفظين إزاء فرض آرائهم على الآخرين. ثمة سؤال طرحته مؤسسة سي. بي. إس. نيوز في 2003 و2004 اكتشف أن البعض يقولون إن علينا أن نبقى بعيدين عن شؤون البلدان الأخرى. لم تزد نسبة من قالوا إن علينا أن نسعى إلى تغيير الأنظمة الدكتاتورية إلى أنظمة ديمقراطية حيثما نستطيع، على 29 بالمئة.

عبّر الأمريكيون عن تأييدهم لقرار الرئيس بوش القاضي بشن الحرب على العراق، وقد اعتقدوا وما زالوا يعتقدون بأن الحرب على العراق كانت جزءاً من الحرب على الإرهاب. سلسلة طويلة من استطلاعات الرأي بينت أنهم يرون أن من شأن السلم أن يكون أصعب من الحرب. غير أن نزعتهم التفاؤلية ظلت باقية حتى النهاية. فبعد فترة الحرب الملتهبة، في أيار/ مايو 2003، كانت نسبة 63 بالمئة واثقة من قدرة الولايات المتحدة على إقامة نظام حكم ديمقراطي مستقر في العراق على المدى الطويل. وفي نيسان/ أبريل 2004 بعد سلسلة طويلة من النكسات والمصاعب، أعطت نسبة 50 بالمئة الجواب نفسه. إن الناس يؤمنون بأن من شأن عراق ديمقراطي مستقر أن يساعد في الحرب على الإرهاب. يظل الأمريكيون شديدي التوق إلى تمكين العراقيين من الاضطلاع بمسؤولية الحكم في بلدهم، وهذا متناغم تماماً مع قناعات الأمريكيين الراسخة منذ زمن بعيد فيما يخص مسؤولياتنا على الصعيدين الداخلي والخارجي.

من غير المحتمل أن يكون عدد كبير من الأمريكيين قد سمعوا عبارة «محافظين جدد» كما لم يقرأ كثيرون أياً من المقالات والكتب التي كُتبت من قِبَلِهم (من قِبَل المحافظين الجدد) أو عنهم. إنه لأمر متوقع في مجتمع ديمقراطي متنوع مفعم بالحيوية والحركة مثل مجتمع الولايات المتحدة. قد لا تكون راية المحافظين الجدد موجودة في محكمة الرأي العام، غير أن أعداداً كبيرة من آرائهم تجتذب حشوداً لا يستهان بها من الأتباع.

الجذور البريطانية الخالصة للمحافظين الجدد وما تحملها من دروس لمحافظي بريطانيا

إذا كانت نزعة المحافظة الجديدة فلسفة تخص السياسة الخارجية فإن لها جذوراً عميقة في نمط تفكير وممارسة الدولة البريطانية... إنها تتحدث مباشرة عن حاجات النزعة المحافظة البريطانية، والأوروبية في القرن الحادي والعشرين... لو كان كاننغ، بالمرستون، أو تشيرتشل على قيد الحياة اليوم لسارعوا إلى الإقرار بأن سياساتهم وخططهم منفَّذة بأيدي بول ولفوفيتز، دونالد رمسفلد، وجورج بوش.

مايكل غوف

obeikandi.com